الشعب كقوة تاريخية موجهة إنما هو سمة خاصة لكل فن الواقعية الاشتراكية الجديد»[٥٥].

ومهما يكن من أمر، فإن الاتجاه نحو الأبيض والأسود في رسم الشخصيات والتشابه في ملامحها الفكرية قد أدى إلى احتفاظ هذه الشخصيات بطابعها من البداية؛ أي أن هذه الشخصيات أصبحت مكتملة مسطحة، وليست نامية أو معقدة بحيث لا يستطيع القارىء أن يكتشف طبيعتها دفعة واحدة، وإنما يكتشفها بطرية تدريجية، مشوقة. إن الذي يجعلنا نتابع قراءة «الأم» ليس هو الشوق إلى اكتشاف طبيعة الشخصية وخبايا أعماقها النفسية والفكرية، وإنما هو مصيرها فحسب. وليس من شك في أن هذا المصير غير كاف لجذب انتباه القارىء وشده إلى الرواية.

* * *

وبعد، فإننا إذا حاولنا أن نتقصى الأسباب الأخرى ـ غير النزعة التعليمية ـ التي أدت بالواقعيين الاشتراكيين إلى الإخفاق في تقديم نماذج بترية خالدة، نلغي ما يُسميه «جورج لوكاتش» «بالمنظور» يأتي على رأس هذه الأسباب.

إن «لوكاتش» يرى أن الأدباء غير الاشتراكيين ليس لهم منظور اجتماعي محدد إلى عصرهم، ينطلقون منه، كما هو الأمر بالنسبة إلى الواقعيين الاشتراكيين؛ «فالتمييز الحاسم هو ذلك التمييز بين وجود منظور اشتراكي في الواقعية الاشتراكية وبين اختفائه في الأدب البورجوازي المنحل»[٥٦] على حد تعبير «لوكاتش».

ولكن هذا المنظور بكل بساطة لا يمكن عده واقعاً حياً، ما دامت الأفكار الشيوعية التي يستمد قوته منها غير معيشة في الحياة، أو ما دامت لا تتعدى كونها إمكانية قد تتحقق في الواقع مستقبلاً وقد لا تتحقق. ومن هنا وجدنا بعض النقاد يتحدثون عن «الضرورة الملحة ليس فقط لمعرفة واقعين (الماضي والحاضر)، بل وواقع ثالث هو «واقع المستقبل»[٥٧]، ودون هذا لا يمكن فهم